بعض المضامين التربوية عند الحكيم الترمذى
مع اشارة خاصة إلى كتابه المنهيات

دكتور
مصطفى محمد أحمد رجب
الأستاذ المساعد بالكلية

مقدمة :

التصوف الإسلامى من الميادين الخصبة للتربية الإسلامية . فقد قدم المتصوفة المسلمون إلى البشرية تراثا زاخرا بالعطاء ، معبرا عن الشخصية الإسلامية العربية تعبيرا واضحا .

وهذا التراث إن كان قد نال حظا لابأس به من الاهتمام فى مجال الدراسات الفلسفية ، فإنه - على مستوى الدراسات التربوية - ما يزال يعانى من الاهتمام ومايزال بحاجة إلى دراسات تفصيلية تتناول العناصر المؤثرة فى تكوين هذا التراث الثرى سواء أكانت تلك العناصر أفرادا أم مدارس .

ويعد الحكيم الترمذى (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ) واحدا من أبرز مفكرى التصوف الإسلامى الأوائل . وقد ترك تراثا ضخما يصل إلى قرابة السبعين مؤلفا بعضه حقق ومعظمه مايزال مخطوطا .

وقد اطلع الباحث على عدد لابأس به من مؤلفات الحكيم الترمذى فوجد أن لهذا الرجل فكرا تربويا يضيف إلى المكتبة التربوية العربية الكثير إذا ما أتيح له أن يرى النور . ومن هنا نبعث فكرة هذا البحث .

مشكلة البحث :

تتلخص مشكلة البحث الحالى فى :

" التعرف على الآراء التربوية للحكيم الترمذى من خلال كتاباتـــه المتاحة " وذلك من خلال إجابة التساؤلات التالية :

١- من هو الحكيم الترمذى ؟ وما أهم العوامل التى أثرت فى فكرة ؟ .

٢- ما أهم أراء الحكيم الترمذى فى :

أ - العلم وتقسيم العلوم . ب - العلماء وأصنافهـم .

جـ - التربية الأخلاقيـــة . د - الطبيعة الإنسانيـة .

هـ - المعرفـــــــة .

٣- ما أهم المضامين التربوية فى كتاب " المنهيات " للحكيم الترمذى ؟-

منهج البحث :

يعتمد البحث الحالى على المنهج الوصفى التحليلى حيث يقـــوم بتحليل آراء الحكيم الترمذى المبثوثة فى مؤلفاته ، ويستنبط منها الإطـار العام لفكره التربوى فى ضوء العوامل التى أسهمت فى تكوين شخصيته .

كما يعتمد على المنهج التاريخى فى الرجوع إلى المصادر الأوليـــة التى تناولت شخصية الحكيم الترمذى وعصره وبيئته وشيخوخته وتلاميذه .

ويستخدم الباحث منهج تحليل المحتوى فى تحليل كتاب "المنهيات " للحكيم الترمذى تحليلا وصفيا لاكميـا .

وللإجابة عن أسئلة البحث السابقة قام الباحث بمايلى :

أ- بالنسبة للسؤال الأول وهو :

" من هو الحكيم الترمذى ؟ وما أهم العوامل التى أثرت فى فكره ؟ .

تمت الإجابة عنه بدراسة تضمنت :

١- شخصية الحكيم الترمذى وكنيته :

هو محمد بن على بن الحسن (أو الحسين على خلاف بين المؤرخين) بن بشير (أو بشر) بن هارون ، كنيته : أبو عبدالله ، ولم تذكـــر كتب التراجم التى أرخت للحكيم الترمذى عام مولده وإن كان بعـــض

الباحثين قد حاول استنتاج ذلك تقديرا (٣ ـ ٢٠) فتوصل إلى أنه ربما كان قد ولد فى نحو عام ٢٠٥ هـ. وقد اختلفوا كذلك فى عام وفاته فقيل توفى عام ٢٨٥ هـ (٢٣ ـ ٩٥) وقيل عام ٣٢٠ هـ وهو الأرجح والأشهر .

٢- مكانته العلمية :

لم يحظ الحكيم الترمذى باهتمام المؤرخين بالقدر الذى يستحقه ، ومع ذلك فإن الشذرات القليلة التى وردت عنه فى كتب التراث تبرز أهمية الرجل ومكانته العلمية ، بين المؤلفين المسلمين الأوائل .

٣- مؤلفاته :

قام محمد إبراهيم الجيوشى (١٩ ـ ١٥ ، ١٦) بإحصاء ما تم العثور عليه من مؤلفات الحكيم الترمذى فأحصى مايزيد على ستين مؤلفا (٦٨) بالإضافة إلى مائتى رسالة تختلف أحجامها طولا وقصرا .

ومن أهم هذه الكتب والرسائل فى المجال التربوى :

- رسالة أنواع العلم وهى ماتزال مخطوطة .
- رسالة بيان العلم .
- علم الأولياء وقد حققه ونشره سامى نصر لطيف (٣).
- المنهيات وحققه محمد عثمان الخشت (٤)

٤- العوامل المؤثره فى فكره :

أ- **ظروف عصره** : حيث يمثل القرن الثالث الهجرى الذى عاش فيه الحكيم الترمذى عصر النضج والاكتمال الثقافى والحضارى للدولة الإسلامية ، وكانت المدارس الفكرية والدينية والفلسفية والأدبية تملأ جنبات العالم الإسلامى ، ومن أهم هذه التيارات التى تركت بصماتها على فكر الحكيم الترمذى : التصوف ، الشيعة ،المحدثين .

ب- رحلاته وبيئته : كان لرحلات الحكيم الترمذى ونشأته فى بيـــــت علم وأدب (حيث كان والده أحد علماء الفقه والحديث) وبيئة بهـــا الكثير من التيارات الفكرية كما سبق القول أثر كبير فى فكره .

جـ أساتذته : تتلمذ الحكيم الترمذى بالدرجة الاولى على والده علـــى بن الحسن الترمذى كما روى الحديث عن عدد كبير من المحدثين يزيد عددهم على المائة من أشهرهم :

- الحافظ أبو اسحق الطبرى البغدادى .
- على بن حجر بن أوس السعدى المروزى .
- عيسى بن أحمد العسقلانى .

أما عن مشايخ الصوفية فمن الصعب القطع بأن الحكيم الترمذى تتلمذ على أحد منهم إذ أنه لم يشر إلى ذلك فى كتبه العديدة .

وعلى أية حال فمن المؤكد أنه التقى بثلاثة من كبار شيخوخ الصوفيـــة فى عصره هم : " يحيى بن الجلاء - أبو تراب النخشبى - أحمد بن خضرويه" .

وبهذا نكون قد أجبنا عن السؤال الأول من أسئلة البحث وهو : "من هـــو الحكيم الترمذى ؟ وما أهم العوامل التى أثرت فى فكرة ؟ .

ب- بالنسبة للسؤال الثانى :وهو

" ما أهم آراء الحكيم الترمذى فى :

١- العلم وتقسيم العلوم
٢- العلماء وأصنافهـــم
٣- التربية الأخلاقيـــة
٤- الطبيعة الإنسانيـــة
٥- المعرفـــــة

ولقد تمت الإجابة عن هذا السؤال كما يلى :

١- العلم وتقسيم العلوم عند الحكيم الترمذى :

يرى الحكيم الترمذى أن هناك نوعين من العلم : العلم الظاهـــر ،

والعلم الباطن ، ويسمى العلم الأول العلم بالمجان ويسمى العلم الثانى العلم بالثمن . والعلم الظاهر هو قوام الشريعة ، وتأديب النفس واصلاحها ومنعها عن الجهل ومعرفة حدود وأحكام الدين ،وهو ما يطلق عليه علم الشريعة ويسميه أحيانا علم الحلال والحرام . أما العلم الباطن فهو علم القلب ، وهو العلم النافع وهو علم الحقيقة ، ويستند الحكيم الترمذى فى تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن إلى ماروى عن النبى -صلى الله عليه وسلم - العلم علمان : علم باللسان ، فذلك حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع (٤٩ - ٢٨٧).

وقد أورد الحكيم الترمذى فى مواضع أخرى من كتبه تقسيما ثلاثيا للعلم . فيقول إن العلم عندنا ثلاثة أنواع . نوع منها الحلال والحرام ، ونوع ثان الحكمة ، ونوع ثالث علم المعرفة ومن الواضح أن الحكيم الترمذى يتحدث دائما عن العلوم الدينية فهو لم يتطرق إلى علوم الدنيا التى تناولها غيره من مفكرى التربية الإسلامية .

٢- العلماء وأصنافهم :

يرى الحكيم الترمذى أن العلماء ثلاثة أصناف :

الصنف الأول :

العلماء بالحلال والحرام يسلكون بك فى طريق الشريعة إلى الجنة وبمساءلتهم تعرف الحلال والحرام . وهم علم خطر عظيم ، ويندرج تحت هذا الصنف من العلماء طائفتان :

طائفة مؤدون للأخبار ليس عندهم وراء هذا شيىء من قوة الاستنباط ، وهؤلاء لايجوز لهم العمل بشىء من العلم دون التفقه فيه ولا الفتيا للخلق ، وهؤلاء ليسوا فى الحقيقة علماء ، وإن كانت مظاهرهم توهم الناس أنهم علماء فهم حملة ناقلون إلى من بعدهم من القرون .

الطائفة الأخرى : تفقهوا فى الدين وتدبروه وطلبوا معانية وتعرفوا ناسخة من منسوخة حتى قووا على الاستنباط ، وقياس الفروع على

الأصول ، وهؤلاء سبق لهم الإذن من التنزيل ومن سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أن يجتهدوا برأيهم للحكم بين الناس وافتائهم فى مسائل الحلال والحرام . فأما من التنزيل فقوله تعالى : " يحكم به ذو عدل منكم" وأما من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله عشر حسنات ، وإذا أخطأ فله حسنة واحدة " .

الصنف الثانى :

هم العلماء بالله ، وهم الحكماء وهم أهل الفهم عند الله تعالى لأنهم فطنوا إلى أن الله تعالى خلق الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر ، وهم الذين يسلكون بك على طريق الإخلاص فى الشريعة إلى منازل القربة ، وبمخاللتهم (أى بمصاحبتهم) يغضون إليك بالحكمة حتى تخلص فى العبودية فتكون عبداً مقربا (١٩-٢٩٣) .

الصنف الثالث :

هم العلماء بالله والعلماء بأمر الله ، وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم جالس الكبراء ، وهم الذين جمعوا هذه العلوم كلها ، فعلموا الحلال والحرام ، وفهموا تدبيره عنه فى تحليله الحلال وتحريمه الحرام ، واطلعوا على علم الملكوت واستشعرت قلوبهم عظمه الله فهابوه وأجلوه ، وولت قلوبهم إليه وحنت إلى لقائه وهم الكبراء الذين تكبروا بما من الله عليهم من كبريائه وعظمته ، وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله برؤيتهم - كما ورد فى الحديث - فمن رآهم ذكر الله واستفاد طهارة قلبه بمجالستهم .

ومما سبق يتضح أن تقسيم الحكيم الترمذى للعلماء يشمل فريقين متمايزين - برغم أنه تقسيم ثلاثى فى ظاهره :

- القسم الأول من الفريقين :

علماء الظاهر ويقصد بهم الفقهاء وقد قسمهم إلى قسمين يشتملان نوعين من الفقهاء وهما المقلدون (النقلة والرواه) والمجتهدون .

- القسم الثانى من الفريقين :

علماء الباطن وهم فريقان أيضا أولهما : أهل الحكمة وهم المستوى الأول العادى من الدعاة البصراء بحكمة الله فى خلقه وحسن تدبيره . وثانيهما : خاصة الخاصة وهم الأولياء الذين يمثلون صفوة العبادوالزهاد . وواضح أنه حاول فى تقسيمه هذا - كما لاحظنا فى تقسيمه للعلم - اقتفاء أثر الحديث الذى رواه وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى جحيفة " سائل العلماء وخالل الحكماء وجالس الكبراء " .

٣- الحكيم الترمذى والتربية الأخلاقية :

تعد الأخلاق ضرورة من ضروريات تنظيم المجتمع ، وفى عدم وجودها تسود شريعة الغاب حيث تصنع القوة الحق بدلا من أن يصنع الحق القوة . وإذا كان للتربية وظائف مختلفة ، فإن من أهم وظائفها ، الوظيفة الأخلاقية (١٢ - ١١٩) .

وللحكيم الترمذى نظرات وممارسات عديدة لبعض القيم والسمات الأخلاقية التى يجل توفرها فى شخصية المسلم به إلى أقصى ما يمكن أن يتمناه من الرضى نتيجة نهجه وسلوكه الصراط المستقيم ، ويمكن أن نذكر من هذه القيم والسمات .

أ - جهادالنفس :

يرى الحكيمالترمذى أن جهاد النفس فى أخص معانيه أن يمنعها الإنسان من الحرام ، أما أدب النفس فهو أن يمنعها من الحلال حتى لا تطمع فى الحرام .

وللحكيم الترمذى كتاب كامل مستقل عن رياضة النفس حقق ونشر (١٩-٩٦) وهو يعرض لرياضة النفس كما يراها الترمذى . وقد احتوى هذا الكتاب على ثمانية وعشرون مبحثا منها :

١- أجزاء الإنسان وعمل كل جزء
٢- موضع الشهوة
٣- أصل الهوى
٤- الكبر فى النفس
٥- نور التوحيد
٦- المجاهدة
٧- منع النفس من الحلال
٨- سلطان الشهرة والمعرفة
٩- الجوارح السبع
١٠-أصناف العمال
١١- ابن آدم مطبوع على سبع
١٢- وصف رياضة النفس .

ومن الطبيعى أن تكون أفكار الترمذى من هذا الكتاب مستمدة بقدر كبير من تجربته الخاصة فى العزلة وكثرة الدعاء ودوام المناجاة، حتى تحققت له بذلك طريقة خاصة رضى عنها والذى يجعلنا نذهب إلى هذا الرأى أننا وجدناه فى أماكن كثيرة يرى أن التصوف هو (علم البحث عن الطريق ، أى الطريق الذى يسلكه صاحبه للوصول إلى ولاية الله ومعرفته) ومع ذلك فهو لايرى أهمية لوجود شيخ يرشد المريد مما يدل على خصوصية تجربته نظريا وتطبيقيا .

ب - التوبة :

وهى تعطى لهؤلاء الذين يستحقون محبة الله لأنهم يتوبون إليه ويتطهرون . " **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** " (البقرة : ٢٢٢) .

ويرسم الحكيم الترمذى للسلوك الإنسانى صورة رائعة أخاذة يحشد لها طائفة من الصفات والأخلاق العالية لابد أن تتحقق فى المرء الذى يتصوره الحكيم الترمذى ليكون مثلا عمليا وقدوة حية تتمثل فيه القيم والأخلاق العليا التى ينشدها الترمذى ويدعو إليها ، وهذه القيم تقوم على أسس ثلاثة هى : (الحق والعدل والصدق) وهذه الثلاثة بدورها تتقاسم القوى الإنسانية المختلفة فتوجهها إلى الطريق السوى ، ويحدد الحكيم الترمذى مناطق نفوذ كل من هذه الأسس الثلاثة وعملها فى الوجود الإنسانى فيقول : " .... وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة أركان : الحق ، العدل ، الصدق ، فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على القلوب ،

فهذه الثلاثة هى جند المعرفة وهذه الثلاثة التى هى أضدادهم هى جنـــــد الهوى (١٩ ـ ٣٢٤) .

جـ ـ الزهد فى الدنيا :

يرى الحكيم الترمذى ضرورة الزهد فى الدنيا وعدم الخضوع لزينتهـــا ولهوها . فالدنيا شديدة الفتنة ، ولايستطيع الإنسان ـ إذا تعلق بهـــا ـ أن يجمع بينها وبين حب الآخرة ، أو السمو الخلقى الذى يبتغيه الحكيـــم الترمذى ، وفى ذلك يقول : " مثل الدنيا مثل بحر يغرق فيه من دخلـــه ، لأنه لايرى جانبه فإلى كم يسبح وهو فى السباحة حتى يعيا ويلقى بيديـــه إلى التهلكة ؟ وربما هاج ريح فيغرق فى تلك الأمواج ، فالكيس من لـــزم الساحل وتجنب البحر " (٣ ـ ٦٨) .

وخلاصة ما ســبق :

أن جوانب التربية الخلقية عند الترمذى ثلاثة :

الأول : جهاد النفس بمعنى (أخذ الاستعداد لحياة الاستقامة) .

الثانى : التوبة بمعنى (التبرؤ من الحياة الماضية) .

الثالث : الزهد فى الدنيا بمعنى (سد باب الفتن) .

٤ـ الحكيم الترمذى والطبيعة الإنسانية :

تتضح وجهة نظر الحكيم الترمذى فى الطبيعة الإنسانية من خـــلال بعض النقاط هى :

١ـ الطبيعة البشرية خيرة أم شريرة :

يرى الحكيم الترمذى أن الطبيعة البشرية مزاج من الخير والشـــر ، وهذه الحقيقة تتفق مع الرؤية الإسلامية للطبيعة البشرية والتـــى عبر عنها القرآن الكريم بقول الله عز وجل : **" ونفس وماسواهـــا ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساهـــا "** (الشمس : ٧ـ١٠) .

٢- **الإنسان مخير أم مسير :**

لانستطيع أن نزعم أن الحكيم الترمذى قد ناقش هذه القضية فى صورتها التطبيقية فى أرض التعليم ، وإنما ناقشها من خلال منظورها الفلسفى ، فهو يقول فى كتابه " باب فى صفة العلم" يصف أمر الله فى سائر المخلوقات بأنه على سبيل الخير ، وأن أمر الله على آدم وذريته خاصة عن طريق التكليف والابتلاء واتخاذ الأسباب والاجتهاد (١٧ - ١١٤) .

٣- **رأى الحكيم الترمذى فى الروح :**

يرى الترمذى أن الله تعالى قد خلق أجسادنا قوالب ليضع فيها ما يبرزه العبد بحركاته بتلك الحياة التى فى روحه ونفسه ، والروح سماوى وفيه الحياة ، والنفس أرضية وفيها الحياة فهما يحركان الجوارح وسمى الآدمى حيا بحياة النفس والروح .

٤- **الحكيم الترمذى وتربية العقل :**

يرى الحكيم الترمذى أن العباد يتفاوتون فيما بينهم بقدر حظوظهم من العقل هذه الحظوظ تتفاوت تبعا لقربهم أو بعدهم من الله تعالى ، ويؤكد الحكيم الترمذى أهمية عقل التجربة فهو أنفع من عقل الفطرة لأنه خلاصة التجارب الحيوية ، وقد قسم الحكيم الترمذى العقل إلى قسمين جعل أحدهما خاصا بأمور الدنيا بما يؤهل الإنسان لأمور الآخرة ، وجعل الثانى خاصا بالتجرد عن كل أحوال الدنيا وترقب الألطاف الإلهية وانتظار فضل الله تعالى .

٥- **الحكيم الترمذى والتحليل النفسى :**

للحكيم الترمذى إسهاما واضحا فى التحليل النفسى ، حيث يرى أن النفس نفسان نفس ظاهرة ، ونفس باطنة ، وأصل خلقه النفس الباطنة فمن موطن الشيطان وتحت قدمه وأثره ، وأما النفس الظاهرة فمن خطواته وبين موطئه وهى ممدودة ومبسوطة من النفس الباطنة . والنفس الظاهرة فى صراع بين القلب والنفس الباطنة .

٥- المعرفة عند الحكيم الترمذى :

من خلال استعراضنا لبعض المفاهيم المتصلة بالعملية المعرفية مثل القلب والعقل والروح والنفس • نستطيع أن نقف على جوانب المعرفة عند الحكيم الترمذى • وهى :

الجانب الأول : المعرفة الفطرية الطبيعية وتتم عن طريق الملكات والجوارح ويشترك فيها جميع الآدميين •

الجانب الثانى : المعرفة العقلية وتتم باستخدام العقل وهى للخاصة •

الجانب الثالث : المعرفة القلبية ويختص بها القلب وهى لخاصة الخاصة من أهل العرفان •

والحكيم الترمذى يرى أن المعرفة مكتسبة وليست توفيقية ، وأنه يمكن الحصول عليها عن طريق كل من العقل والحواس والوحى والنقل •

كتاب "المنهيات" للحكيم الترمذى وقيمته التربوية

يمتاز هذا الكتاب (الذى ظل مخطوطا حتى حقق لأول مرة سنة ١٩٨٥) بأنه فريد من نوعه فى المكتبة العربية - فقد جمع فيه الحكيم الترمذى ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى باب " النهى " عن أقوال أو أفعال لاتليق بالإنسان المسلم الحق • وسماه : " المنهيات " أى الأمور المنهى عنها •

ويحتوى الكتاب على (١٧٠) سبعين ومائة باب من أبواب النهى ، بعضها يكون النهى فيه على سبيل الأمر القاطع أو الزجر العنيف عن فعله ، وبعضها يكون النهى فيه على سبيل الإرشاد والتأديب واختيار الأفضل • فعلى سبيل المثال حين يكون النهى عن الربا بأنواعه المختلفة يكون نهيا جازما لأنه يتفق مع نصوص القرآن القاطعة فى تحريم الربا ،

وحين يكون النهى عن اتخاذ بعض الأسماء أو الألقاب أو الكنى ، يكـــــون ذلك من باب التأديب والإرشاد لأنه قد يحدث فى بعض الناس دون ســـــوء نية . ولأنه ليس فى فعله إضرار بأحد من الناس .

مآخذ على الكتاب :

إلا أن الكتاب - مع طرافه موضوعه وشمول أبوابه - لايخلو من مآخـــذ يمكن ايجازها فيما يلى :

١- هناك روايات عديدة عـن أمور منهى عنها انفرد الحكيم الترمـــــذى بروايتها ولم يجدها محقق الكتاب فى مصادر السنة المعروفة مـــــن الكتب الصحاح الستة والمسانيد المشهورة وكتب السنن الشائعة .
والحكيم الترمذى - مع علو شأنه فى التصوف وشهادة الكثيرين له بأنه من رواة الحديث وتلقيب الذهبى له بلقب (الحافظ) - ليس من أولئك النفر المرموقين من أهـــل الحديث الذين يطمئن الإنسان إلـــــى روايتهم . ذلك أنه اتخذ العقل معيارا للحكم على صحة الحديـــــث أو ضعفه (أو وضعه) .
ففى كتابه (نوادر الأصول) عقد فصلا عن صدق الحديث افتتحه بحديث رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : " إذا حدثتـــم عنى بحديث تعرفونه ولاتنكرونه - قلته أو لم أقله - فصدقوا بـــــه " وإنى أقول ما يعرف ولاينكر ، وإذا حدثتم عنى بحديث تنكـــرونه ولا تعرفونه ، فكذبوا به فإنى لا أقول ما ينكر ولا يعرف " . وفى اختيار الحكيم لهذا الحديث وتصديره هذا الفصل به مايدل على رأيه ومنهجـــه فى تقييم الأحاديث .

٢- هناك أنواع من المنهيات أوردها الحكيم الترمذى ثم استدرك عليهـــا فى شرحه بعض الآثار التى تعارضها مما أظهر عمله فيها بمظهـــــر التناقض . فمن ذلك - مثلا - روايته للنهى عن تقبيل الرجل الرجـل ، ثم استدرك عليها بحديث رواه عن الإمام أحمد بن حنبل ابنه عبدالله فى الزوائد وشرح هذا الحديث ثم استثنى فى تخصيص الحديث - إن صح الحديث - إلى أى سند شرعى وفعل نفس الشىء فى النهى عـــن الرقيقة إلا أنه استدل .

٣- إن الكتاب تضمن بعض المنهيات التى ثبت ضعف سندها من الأحاديث وان كان لها سند آخر من القرآن مثل حديث النهى عن الغيبة والاستماع إلى الغيبة الذى استدل به الحكيم الترمذى ، فقد رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وضعفه الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين للغزالى (١٤٣/٣) كا ضعفه الهيثمى فى مجمع الزوائد (الخشت /٩٥) . والغيبة محرمة بنص القرآن كما هو معروف .

٤- كما أنه أتى بأحاديث نهى ضعيفة وليس لها سند من القرآن أو السنة الصحيحة أو الإجماع . كالنهى عن مصاحفة الذمى اعتمادا على حديث رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة . وقد ضعفه علماء الحديث لأن فى سلسلة رواته سفيان ابن وكيع وهو ضعيف (الخشت /١٤٧) وكيف ينهى الإسلام عن مصافحة الذمى وقد قال تعالى : **" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "** (الممتحنة /٨) . وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المقصودين فى هذه الآية هم الكفرة وليس الذميين فكيف يأمر الإسلام ببر الكافر - غير المعتدى - ثم ينهى عن مصافحة الذمى وهو أقرب مودة للذين آمنوا إذا كان نصرانيا مثلا ؟ وكيف ينهى عن مصافحتهم وقد أباح التزوج منهم بنص القرآن فهل يمكن أن يتزوج المسلم كتابيه . ويعاشرها دون أن يصافحها ؟ .

على أن مثل هذه المآخذ لا تغض من قيمة الكتاب ، ولا تحط من قدره فهو كما تقدم فريد من نوعه وقد ألف فى فترة مبكرة من التاريخ الإسلامى إلى حد ما مما يجعله عرضة لمثل هذه الصفات دون غمط لحقه كمؤلف رائد فى ميدانه .

القيمة التربوية للكتاب :

يمثل النظام القيمى فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية المحور

الذى تدور حوله العلاقات والمعاملات • وتمثل القيم الأخلاقية الركائز التى تستند إليها سلوكيات أفراد المجتمع من جهة • ومن جهة أخرى ، تمثل القيم الخلقية القوة الاجتماعية الضابطة لتلك السلوكيات •

ومن الواضح أن النظام الخلقى فى المجتمع الإسلامى يتصف بما يلى :

أولاً : أنه ذو طابع عقيدى : فالامتثال لأوامر الله ونواهيه يستهدف الفوز برضوانه فى الدنيا والآخرة •

ثانياً : أنه ذو طابع فطرى : فكل ما تتضمنه الشريعة من أوامر ونواه يتفق مع الفطرة الإنسانية السو ية •

ثالثاً : أنه ذو طابع نفسى : اجتماعى ، فالسلوك الإسلامى ينبع أساسا من خشية الإنسان لربه ، ورغبته فى ثوابه ، وخوفه من عقابه • ولكن هذا السلوك يصبح - بالتدريج - سلوكا اجتماعيا تحكمه أعراف المجتمع المسلم قبولا أو رفضا ، استحسانا أو استهجانا مستنده فى ذلك إلى أسس دينية •

رابعاً : أنه ثابت : فالالزامات الخلقية فى التعاليم الإسلامية لاتتبدل بتبدل الأزمان ، ولاتتغير بتغير الحكام ، لأن مصدرها الشريعة المنزله وليست التشريعات الوضعية • وبالتالى فإن مصداقية النظام الأخلاقى الإسلامى تفوق مصداقية غيره من الأنظمة التى تستند إلى مصادر بشرية •

من هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن كتاب " المنهيات " للحكيم الترمذى ركيزة هامة من ركائز الفكر التربوى الإسلامى لأنه :

١- يعتمد على المصدر الثانى للتشريع وهو السنة النبوية المطهرة •

٢- يشتمل على الشق السلبى من السلوك الإنسانى . يمعنى أنه يجمل - على سبيل الاحصاء - كل سلوك مرفوض فى المجتمع الإسلامى من أجل أن يتجنبه الإنسان .

٣- أنه يمثل وجهة نظر الاتجاه الصوفى التربوى من خلال شروح الحكيم الترمذى للأحاديث التى أوردها .

٤- يعد بمثابة " دستور " أخلاقى متكامل يندر أن نجد مثيلا له فى التراث التربوى العربى الإسلامى بهذه الكيفية من التحديدوالوضوح .

من هنا يتضح أن الكتاب يستحق إلقاء الضوء عليه منفردا ، مما حدا بنا إلى إفراده باشارة خاصة بعد أن تناولنا - بشكل عام - ملامح الفكر التربوى عند الحكيم الترمذى .

موضوعات الكتاب :

هناك أكثر من مدخل يمكن تصنيف الكتاب طبقا لكل مدخل منها تصنيفا معينا . وقدآثرنا المدخل التالى :

تقسيم الأحاديث المتضمنة فى الكتاب (١٧٠) حديثا إلى عدة محاور تمثل فى مجموعها مستويات السلوك الانسانى (المرفوض وفقا لطبيعة الكتاب) على النحو التالى :

أولاً : المنهيات على المستوى الفردى :

أ- المنهيات الجسمية ب - المنهيات النفسية

جـ - المنهيات العقلية

ثانياً : على المستوى الأسرى .

ثالثاً : على المستوى المجتمعى :

أ - المادى ب - الإنسانى .

رابعاً : على المستوى الإنسانى العام .

خامساً : على المستوى الكونى :

أ ـ التعامل مع الجمادات ٠ ب ـ التعامل مع الحيوان ٠

منهج الحكيم الترمذى فى كتاب المنهيات :

سار الترمذى فى الكتاب على النحو التالى :

١ـ يذكر الحديث الشريف مصدرا بقوله " نهى عن كذا ٠٠٠٠٠" ٠

٢ـ يشرح الحديث محاولا بيان علة النهى أو سبب التحريم٠

٣ـ يؤيد فكرته بالآيات القرآنية أو الأحاديث الأخرى التى تدعم رأيه ٠

٤ـ يبين ما إذا كان المقصود من النهى فى الحديث التحريم أو مجرد التأديب ٠

٥ـ يبدى أحيانا آراء فقهية متعددة فى المسألة الواحدة ٠ وقد يبدى رأيه الفقهى الخاص به كما فى مسألة (الحلف بغير الله ـ حديث رقم ١١٠)٠

شرح موضوعات الكتاب :

أولاً : على المستوى الفردى

تضمنت النواهى النبوية التى جمعها الحكيم الترمذى كثيرا من السلوكيات المرفوضة على المستوى الفردى ويجب ألا يغفلها لأنها تضر به إما جسميا وإما نفسيا وإما عقليا على النحو التالى :

(أ) جسميا :

أورد الحكيم الآثار النبوية التى نهت على الإنسان أشياء لها علاقة بجسمه سواء كانت هذهالعلاقة تتصل بالجسم ذاته أم تتصل بالمظهر العام له من حيث الزينة واللباس ٠ وخلاصة السلوكيات التى أوردها ـ مرفوضة ـ بالنسبة للجانب الجسمى :

- عدمالمحافظة على الجسم فى النوم واليقظة٠
- عدم ستر العورات أو النظر إليها ٠
- المغالاة فى الملابس٠
- ارتداء الذهب للرجال ٠

- الاعتماد على اليد اليسرى فى الأكل .
- الاعراض عن الزواج .

(ب) نفسيا :

أورد الحكيم الترمذى أحاديث كثيرة تنهى عن سلوكيات من سأنها الحاق الضرر بمن يفعلها من الوجهة النفسية ، وفى فعلها دلالة واضحة على وجود خلل ما فى الشخصية أو ما يسميه علماء الصحة النفسية بـ(العقد) النفسية . ومن السلوكيات المرفوضة التى أوردها الحكيم الترمذى فى المجال النفسى ما يلى :

- الجزع من المصائب .
- البكاء على الميت وعدم الصبر .
- الكذب .
- التشاؤم .
- الانغماس فى اللهو .
- التفاخر والتكبر .
- لطم الوجه .

(جـ) عقليا :

أورد الحكيم الترمذى بعض الأُمور المنهى عنها والتى من شأن فعلها الاضرار بعقل الإنسان على أى نحو من أنحاء الاضرار كالرقية التى تعتمد على خرافات وتعاويذ غير شرعية ، واتيان العراف أو المنجم الذى يدعى علم الغيب بهدف معرفة ما سيحدث للإنسان فى المستقبل من خير أو شر وتصديق ما يقوله . وكذلك السحر ، وكل هذه الأعمال من شأنها الاضرار بالعقل لأنها مظاهر للتفكير الخرافى ، بالإضافة إلى شرب الخمر .

ثانياً : على المستوى الأسرى :

أورد الحكيم الترمذى الكثير من السلوكيات الواجب اجتنابها فى المجال الأسرى والتى من أهمها : العلاقة الخاصة بين المرء وزوجته كما أورد حقوق الزوج على زوجته وحقوق الزوجة على زوجها وفقا لما تيسر له من أحاديث نبوية مستهديا إلى جانبها بآداب القرآن .

ثالثاً : على المستوى المجتمعى :

تناول الحكيم الترمذى المنهيات على المستوى المجتمعى من منظورين ، هما :

١- منظور البيئة المجتمعية المادية :

حيث عرض من هذا المنظور بعض السلوكيات المرفوضة بسبب أضرارها بالبيئة المادية فى المجتمع ، منها :

- الإساءة إلى المرافق العامة .
- احتكار الأملاك العامة .
- الاعتداء على الموارد الطبيعية .

٢- منظور البيئة المجتمعية الإنسانية :

وفيه ركز الحكيم الحديث حول العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، وأورد العديد من السلوكيات المرفوضة فى هذا المجال ، والتى من أهمها :

- الكذب ، الغيبة ، النميمة
- مجالس اللهو واللغب .
- خروج المرأة متبرجة بصورة تدعو للفتنه
- الربا
- البيع والتعامل بالغش والنصب
- الإساءة إلى أماكن العبادة

رابعاً : على المستوى الإنسانى :

هناك سلوكيات مرفوضة إسلاميا لا بوصفها تضر بالإنسان الفرد ، ولا بالإنسان المسلم كعضو فى مجتمع مسلم ، ولكنها محرمة عليه بوصفه إنسانا بالمعنى الواسع لكلمة الإنسان التى تجمعه مع غيره من أصحاب الديانات الأخرى الذين يشاركونه الحياه على الأرض ، وتجمعهم به الأخوة الإنسانية الواسعة ، ومن أمثلة هذه السلوكيات المرفوضة :

- توارث أهل ملتين
- بيع الماء
- تعاطى السيف مسلولا

- افساد الزرع أو الأرض فى حالة الحرب
- النظر إلى المرأة الأجنبية .

خامساً : على المستوى الكونى :

إن النظرة الإنسانية لا تقف عند حدود التعامل مع غير المسلمين من البشر ، بل إنها تشمل التعامل مع الكون الواسع من جمادات وأحياء ، ومن هنا أورد الحكيم الترمذى بعض المنهيات التى تخص الكون بمعناه الواسع من جمادات وحيوانات . ومن هذه المنهيات :

- إهانة الأماكن المقدسة
- التجارة فى المحرمات
- إساءة معاملة الحيوانات
- تعذيب الحيوانات بأى صورة
- قتل الحشرات والطيور النافعة
- العبث بالسلالات .

نتائج البحث :

١- الحكيم الترمذى مفكر وفيلسوف إسلامى صوفى له عشرات المؤلفات التى لم تنشر بعد ويستحق مزيدا من الدراسات .

٢- استطاع الباحث التوصل إلى رؤية الحكيم الترمذى للعلم والعلماء من خلال مؤلفاته المتاحة . وتتلخص فى أنه :

أ - قسم العلم تقسيما ثنائيا مرة وتقسيما ثلاثيا مرة أخرى .

ب- أنه يهتم فى تقسيمه للعلوم وبالعلوم الدينية ولم يشر إلى علوم الدنيا مخالفا بذلك من تبعوه من علماء كالغزالى (ت ٥٠٥هـ) وغيره ممن كان تقسيمهم للعلوم شاملا .

جـ- جاء تقسيمه للعلماء مبنيا على تقسيمه للعلوم وبنى تقسيمه للعلماء على حديث نبوى شريف .

٣- اهتم الحكيم الترمذى بالتربية الأخلاقية وذكر ثلاثة مستويات لهذه التربية هى :

أ - جهاد النفس ب - التوبة جـ - الزهد فى الدنيا

وقد اتضح أن هذه المراحل اكتسبها الحكيم من تجربته الروحية الخاصة .

٤- حول الطبيعة البشرية يرى الترمذى أنها مزيج من الخير والشر كما أن الإنسان مسير فى بعض الأمور ومخير فى بعضها الآخر وبالتالى فعليه أن يسعى بقدر طاقته . فالحكيم بذلك يتبنى النظرة الإسلامية المتكاملة للطبيعة البشرية ولا يتطرف كبعض الصوفية الذين يغلون من قيمة الروح ويضعفون من أثر الحرية .

٥- للحكيم الترمذى آراء واجتهادات خاصة به حول العقل والروح وقد انعكست هذه الآراء على أفكار الحكيم فى تربية النفس ومحاولته سبر أغوارها وتحليل قواها وأفعالها .

٦- تتمثل مصادر المعرفة عند الحكيم الترمذى فى : القلب (المعرفة الشرعية) يليه الروح فالنفس والمعرفة العقلية يقصد بها استيعاب الحقائق الشرعية من الكتاب والسنة .

٧- يعد كتاب " المنهيات " للحكيم الترمذى مصدرا نادرا من مصادر الفكر التربوى الإسلامى وقد قام الباحث بدراسة تحليلية لمضمونه حيث قام بحصر السلوكيات التى ينبغى على الإنسان اجتنابها حتى يكون سلوكه مقبولا اجتماعيا . وصنفها الباحث فى المحاور التالية :

أ - على المستوى الفردى

ب - على المستوى الأسرى

جـ - على المستوى الاجتماعى

د - على المستوى الإنسانى

هـ - على المستوى الكونى

المصادر والمراجـع

أولاً : المصادر :

١- ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) (أبو الفرج عبد الرحمن) ، صفة الصفـوة ، الجزء الرابع ط حيدر أباد - الهند ، ١٣٥٥ هـ.

٢- ابن كثير (ت ٧٤٩ هـ) (أبو الفداء اسماعيل) تفسير القرآن العظيم- ج ٣ القاهرة دار الحديث ، ١٩٨٨م.

٣- الترمذى (ت ٣٢٠ هـ) (أبو عبـد الله الحكيم) علم الأولياء ، تحقيـق سامى نصر لطيف ، القاهرة : مكتبة الحرية الحديثـة بجامعة عين شمس، ١٩٨٣م.

٤- ـــــــــ ، المنهيات ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٩٨٦م.

٥- الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) تذكرة الحفاظ ، الجزء الثانى ، ط ٢ -حيدر أبـاد ١٣٣٣هـ .

٦- السبكى (ت ٧٧٩ هـ) (تـاج الدين) طبقات الشافعية ،ج ٢ القاهـرة : مكتبة البابى الحلبى ٠ر٠ت٠

٧- السلمـى (ت ٤١٢ هـ) (أبو عبدالرحمن) ، طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة ، القاهرة : دار الكتاب العربـى ، ١٩٥٣م.

٨- طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ، ج٢ - طبعة حيدر أبـاد ، ١٣٢٨ هـ.

٩- العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) (ابن حجر) ، لسان الميزان ، جـ ٥ ، طبعة حيدر أباد ، ١٣٢٩ هـ.

١٠- ـــــــــ ، تهذيب التهذيب ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٤ م ، (أجزاء مختلفة منها الجزءان ١٣ ، ١٤ فهارس).

١١- الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) (أبو حامد) ، إحياء علوم الدين ، بيـــــروت : دار المعرفة د.ت .

ثانياً المراجـــع :

١٢- إبراهيم عصمت مطاوع (دكتور) ، أصول التربية . القاهرة : دار المعـــارف، ١٩٨٠.

١٣- أبوالوفا التفتازانى (دكتور) ، مدخل إلى التصوف . نقل عـــــن : سعيد إسماعيل على (دكتور) ، بحوث فى التربيـــــة الإسلامية ، القاهرة : مركز التنمية البشرية والمعلومات، ١٩٨٧م.

١٤- خير الدين الزركلى ، الأعلام ، جـ ٧ ، بيروت : دار القلم ، الطبعة الثانية .

١٥- سعيد إسماعيل على (دكتور) ، بحوث فى التربية الإسلاميـــــة - القاهرة : مركز التنمية البشرية والمعلومات ، ١٩٨٧.

١٦ عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر) أبو الحسن الشاذلى ، نقـلا عـــن المرجع السابق .

١٧- عبدالفتاح بركة ، الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ، القاهـــرة : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧١ .

١٨- عبدالمحسن الحسينى (دكتور) ، المعرفة عند الحكيم الترمذى ، القاهرة : دار الكاتبه ، د.ت .

١٩- محمد إبراهيم الجيوشى (دكتور) ، الحكيم الترمذى : دراسة لاثارة وأفكاره ، القاهرة دار النهضة العربية ، ١٩٨٠.

٢٠- محمد الهادى عفيفى (دكتور) ، فى أصول التربية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤ .

٢١- محمد نبيل نوفل (دكتور) دراسات فى الفكر التربوى المعاصر ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥ م.

٢٢- وجيه أحمد عبدالله، " الحكيم الترمذى واتجاهاته الذوقية " رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط، ١٩٨٨م.

٢٣- ذكرت هذا التاريخ دائرة المعارف الإسلامية ولكن ثبت من كلام الحكيم الترمذى نفسه أنه لقى بعض العلماء بعد هذا التاريخ مما يجعل هذا التحديد غير دقيق كما ذهب إلى ذلك كثير من دارسى الحكيم.

راجع : دائرة المعارف الإسلامية - طبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٩ ، مجلد ٩ (الطبعة الثانية) ص٩٥.